

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- في كتابه: " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن "

القاعدة السابعة: في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-:

هذا الأصل الكبير قرره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه -صلى الله عليه وسلم-، فأخبر أنه صدق المرسلين، ودعا إلى ما دعوا إليه، وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء فهي في محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما نزهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمد أولاهم وأحقهم بهذا التنزيه، وأن شريعته مهيمنة على جميع الشرائع، وكتابه مهيمن على كل الكتب، فجميع محاسن الأديان والكتب قد جمعها هذا الكتاب وهذا الدين، وفاق عليها بمحاسن وأوصاف لم توجد في غيره، وقرّر نبوته بأنه أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولا جالس أحداً من أهل العلم بالكتب السابقة، بل لم يُفاجأ الناس حتى جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا، ولا قدروا، ولا هو في استطاعتهم، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأنه محال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه، أو متقولاً، أو متوهمً فيما جاء به. وأعاد في القرآن وأبدى في هذا النوع، وقرّر ذلك بأنه يخبر بقصص الأنبياء السابقين مطوّلة على الوجه الواقع الذي لا يستريب فيه أحد، ثم يخبر تعالى أنه ليس له طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي، كمثل قوله تعالى لما ذكر قصة موسى مطوّلة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٤٤]

وكما في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَفْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ولما ذكر قصة يوسف وإخوته مطولة قال: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

فهذه الأمور والإخبارات المفصلة التي يفصلها تفصيلاً لم يتمكن أهل الكتاب الذين في وقته ولا من بعده على تكذيبه فيها ولا معارضته من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقاً.

قال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي - رحمه الله تعالى - : **القاعدة السابعة في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - .**

مر معنا في القاعدة التي قبلها: طريقة القرآن في تقرير التوحيد، وهنا طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويأتي قاعدة تلي هذه القاعدة في تقرير القرآن للمعاد، وهذه أصول ثلاثة اتفقت عليها الشرائع والنبوات، فما من نبي بعثه الله تبارك تعالى إلا وقد دعا أمته إلى الإيمان بهذه الأصول (التوحيد - المعاد - النبوات) ولهذا جمع الشوكاني رحمه الله كتابا نافعا مفيدا أسماه " **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات** " وساق من الدلائل والحجج ما يشهد لذلك ويدل عليه. والشيخ هنا - رحمه الله - يبين طريقة القرآن في تقرير هذه الأصول الثلاثة فبين أولاً طريقة القرآن في تقرير التوحيد وإبطال ضده وهو الشرك بالله ثم شرع هنا - رحمه الله تعالى - لبيان طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - واكتفى بطريقة القرآن في تقرير نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - عن تقرير نبوة جميع الأنبياء؛ لأن ثبوت نبوته - عليه الصلاة والسلام - وإثباتها (إثبات نبوة جميع الأنبياء)؛ لأن من أقر بصدقه وآمن بنبوته صلوات الله وسلامه عليه فإن من إيمانه بنبوته أن يؤمن بكل ما دعا إليه وهو - عليه الصلاة والسلام - دعا إلى الإيمان بكل نبي أرسله الله، والإيمان بكل كتاب أنزله الله ﴿ **وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ** ﴾ [الشورى: ١٥] أي بكل كتاب أنزله الله على كل رسول، فهو - عليه الصلاة والسلام - جاء مصدقا لما بين يديه من الرسل ولما قبله من الكتب، جاء مصدقا لذلك - عليه الصلاة والسلام - وجاءت شريعته مهيمنة على الشرائع التي قبله، فكان الإيمان به والإقرار بنبوته - عليه الصلاة والسلام - إيمانا وإقرارا بنبوة كل نبي ولهذا كان تقرير طريقة القرآن في إثبات نبوته - عليه الصلاة والسلام - كافيا في تقرير نبوة جميع الأنبياء وأنهم مرسلون من الله حقا بعثهم الله - سبحانه وتعالى - بالحق والهدى، وأن أيضا دعوتهم واحدة، فهم متفقون على: الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى الإيمان بالأنبياء، وقد عد الله - سبحانه وتعالى - في القرآن التكذيب بنبي واحد تكذيباً بكل الأنبياء، وأيضا متفقون على الإيمان بالمعاد، وبعث الأرواح والأجساد، وقيام الناس إلى رب العالمين، ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا مما اتفقت عليه الشرائع، والشيخ - رحمه الله تعالى - هنا يسوق

الأدلة أو يسوق طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين- صلوات الله وسلامه عليه-، قال رحمه الله: **هذا الأصل الكبير قرره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه-صلى الله عليه وسلم-**، قرره **بالطرق المتنوعة**: إشارة إلى أن تقرير القرآن لنبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- جاء بطرق متنوعة كثيرة، وعرفنا في الكلام على القاعدة السابقة أن سنة الله -سبحانه وتعالى- مضت في أن الأمر كلما كانت حاجة الناس إليه أشد وضرورتهم إليه ألزم كانت طرق تقريره ووسائل معرفته أكثر من غيره.

والإيمان بالنبوات ونبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- هذا أصل كبير من أصول الإيمان وهو من الأصول الكبار العظام التي اتفقت عليها الشرائع، ودعا إليها جميع الأنبياء فلا غرو أن يكون في القرآن من تقرير هذا الأصل وتشبيته وذكر دلائله الشيء الكثير، ولهذا كان في كتاب الله -عز وجل- من أنواع الأدلة على تقرير هذا الأصل شيء كثير.

والشيخ-رحمه الله- يذكر بعض هذه الطرق قال: **فأخبر أنه صدق المرسلين ودعا إلى ما دعوا إليه، هذه طريقة من طرق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- أنه -عليه الصلاة والسلام- في دعوته جاء مصدقا للمرسلين ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]**

أيضا يقول -سبحانه وتعالى-: **﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفوات: ٣٧]**

فهو -عليه الصلاة والسلام- جاء مصدقا للمرسلين والأنبياء الذين بعثهم الله -تبارك وتعالى- قبله جاء مصدقا لهم. وهذا من شواهد صدق رسالته وثبوت نبوته -عليه الصلاة والسلام- أنه داعيا إلى ما دعا إليه الرسل قبله، ليس عنده ما يناقض دعوة المرسلين ويخالفها، بل هو ماض على الجادة التي كانوا عليها عملا بقوله -تبارك وتعالى-: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدِيَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]** عاملاً بذلك -صلوات الله وسلامه عليه-، إذن هذه طريقة من طرق القرآن في تقرير نبوته -عليه الصلاة والسلام- يقال لمن كذب بنبوته: أنظر إلى ما يدعو إليه، وأنظر إلى الأصول التي يقررها، تجد أنها وما دعا إليه الأنبياء قبله خارجا من مشكاة واحدة ومن معين واحد ليس بينه وبين الأنبياء خلاف في شيء من ذلك.

ولهذا قال هو -عليه الصلاة والسلام-: **((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى))** أي شرائعنا تختلف؛ لأن الشريعة تختلف من نبي إلى آخر، وأيضا شريعة النبي الواحد قد تتغير بحسب أحوال الناس فيما يؤمرون به أو فيما ينهون عنه، وقد تكون الأحكام أيضا تأتي متدرجة بحسب أحوال الناس؛ كما هو معلوم من شريعة نبينا -عليه

الصلاة والسلام - وأيضا كما هو معلوم من شريعته مقارنا بالشرائع التي كانت قبله، ولهذا قال الله- سبحانه وتعالى - : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فهذه طريقة من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام-.

طريقة أخرى قال: وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء فهي في محمد -صلى الله عليه وسلم- وما نزهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمد-صلى الله عليه وسلم- أولاهم وأحقهم بهذا التنزيه.

وهذه طريقة أخرى في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- ألا وهي أنه-صلى الله عليه وسلم- جمع له المحاسن التي تفرقت في غيره من الأنبياء، حتى إن الله -عز وجل- أكرمه بأن جمع له ما تفرق في الأنبياء من معجزات، وأعطاه المعجزة الخالدة العظيمة كتاب الله- سبحانه وتعالى- ووحيه وتنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهذه من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام-.

وأیضا أن الله -سبحانه وتعالى- برأ نبيه ونزهه من كل عيب ونقص برأ منه الأنبياء قبله، فكان ما وجد في الأنبياء قبله من محاسن اجتمع فيه وأيضا ما برأهم الله -سبحانه وتعالى- ونزههم من النقائص والعيوب كان نبينا -عليه الصلاة والسلام- منزها ومبرأ منه، فجمع الله -سبحانه وتعالى- له من المحاسن والفضائل والمناقب شيئا لم يجتمع لأحد قبله، ولهذا كان، -عليه الصلاة والسلام- :

- أتقى الناس لله

- وأخشى الناس لله

- وأعظم الناس عبادة لله

- وأكمل الناس خلقا

- وكان -عليه الصلاة والسلام- سيد ولد آدم أجمعين، والسيادة تعني التقدم، وقد قال -صلى الله عليه وسلم- في

الحديث الصحيح ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))

ثم ذكر -رحمه الله- طريقة أخرى من طرائق القرآن في تقرير نبوته -عليه الصلاة والسلام- قال: وأن شريعته مهيمنة على جميع الشرائع وكتابه مهيمن على كل الكتب، فهذه أيضا من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- إخبار الله -عز وجل- أن شريعة محمد -عليه الصلاة والسلام- جاءت مهيمنة على الشرائع ومعنى

مهيمنة: أي حاكمة عليها وشاهدة لما فيها ومصدقة لها فكان لشريعة محمد -عليه الصلاة والسلام- الهيمنة على الشرائع التي قبله فما أقر في شريعته يعمل به وما لم يقر يكون منسوخا نسخته الشريعة المهيمنة شريعة محمد -عليه الصلاة والسلام-.

وأیضا جعل الله - سبحانه وتعالى - كتابه مهيمنا على الكتب السابقة كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] فجعل - تبارك وتعالى - لكتابه القرآن الكريم هيمنة على الكتب المنزلة التي قبله، فهذه أيضا من طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام-.

قال: فجميع محاسن الأديان والكتب قد جمعها هذا الكتاب وهذا الدين، جمعها هذا الكتاب: أي القرآن الكريم، وهذا الدين: أي الدين الذي بعث به محمد -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وفاق عليها بمحاسن وأوصاف لم توجد في غيره، ويمكن جمع هذه المحاسن من خلال أحاديث ثابتة عنه - عليه الصلاة والسلام- يقول فيها: ((فضلت على الأنبياء بكذا)) أحاديث عديدة يقول فيها - عليه الصلاة والسلام- ((فضلت على الأنبياء بخمس)) ((فضلت على الأنبياء بكذا)) أحاديث ربما تصل الخصال في ذلك فيما جمعه بعض أهل العلم إلى ما يقرب من الستين خصلة مما فضل الله - سبحانه وتعالى - نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وقرر نبوته بأنه أمي لا يكتب ولا يقرأ، وهذه طريقة أخرى في تقرير نبوته -عليه الصلاة والسلام- والدعوة إلى الإيمان به أنه -عليه الصلاة والسلام- أمي لا يقرأ ولا يكتب. قال الله - عز وجل - : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فدعاهم إلى الإيمان بهذا النبي واصفا له بأنه أمي أي لا يقرأ ولا يكتب ثم يقال لهم: هذا النبي الأمي الذي عرف من حاله أنه لا يقرأ ولا يكتب تعالوا وانظروا إلى ما دعا إليه وانظروا إلى ما جاء به وانظروا إلى ما قصه من الأخبار مما يوجد بعضه في كتبكم وبعضه لا يوجد، أشياء من أخبار الأولين، وأخبار اليوم الآخر، وأخبار الأمور الآتية من أسرار الساعة ونحو ذلك بتفاصيل دقيقة وأمور عجيبة يصفها -عليه الصلاة والسلام- كأنه حاضر مع أنه -عليه الصلاة والسلام- لم يكن شاهدا ولا حاضرا ولا رائيا لذلك، فيصف ذلك وصفا دقيقا، وهو نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب، فدعوا إلى الإيمان به من هذه الطريقة.

من هذه الطريقة قيل لهم: تعالوا وانظروا إلى ما يدعو إليه، وانظروا إلى إخباراته -عليه الصلاة والسلام- عن الأولين، وذكره لقصص السابقين، وانظروا أيضا ما أخبر عنه -عليه الصلاة والسلام- من الأمور القادمة، كل ذلكم شاهد على صدقه -صلوات الله وسلامه عليه- وأنه رسول من رب العالمين.

قال: وقرر نبوته بأنه أُمي لا يكتب ولا يقرأ ولا جالس أحدا من أهل العلم بالكتب السابقة، يعني لا يعرف عنه أنه جالس أحدا من أهل العلم بالكتب السابقة، وكان أهل العلم بالكتب السابقة على لسان غير لسانه -عليه الصلاة والسلام- بل كانت ألسنتهم أخرى وهو -عليه الصلاة والسلام- لسانه عربي مبين ومع ذلك ومع كثرة ما جاء به -عليه الصلاة والسلام- من أخبار الأولين ادعى بعضهم أنه -عليه الصلاة والسلام- علمه بعض من عنده علم بالكتب السابقة كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني الذي يشيرون ويدعون أنه يعلمه ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فهذه دعوى كاذبة وهذا شاهد على كذب هذه الدعوة وزيفها وبطلانها لأنه -عليه الصلاة والسلام- لسانه لسان عربي مبين ومن يدعون أنه -عليه الصلاة والسلام- أخذ عنه وتلقى منه لسانه آخر غير اللسان العربي فهذا مما يزيف دعواهم ويبين كذب قولهم فيه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم مع هذا يفاجئ الناس -عليه الصلاة والسلام- ويأتي بهذا الكتاب العظيم الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا ولا قدروا ولا هو في استطاعتهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فهذا من أعظم الشواهد وأكبر الدلائل والبراهين على صدقه -صلوات الله وسلامه عليه-، قال: **وأنه محال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه أو متقول أو متوهم فيما جاء به،** هذا محال: أي أن القرآن وحده كاف بالشهادة على صدق الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- فهو آية عظيمة ومعجزة باهرة وحجة ظاهرة لصدق الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- ومحال أن يأتي بهذا الكتاب العظيم المعجز ويكون فيه متوهماً أو يكون متقولاً على الله. يقول: أوحى إليه ولم يوحى إلي أو يكون متوهماً ظاناً فهذا كله محال، أن يأتي بهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم يكون في ذلك متقولاً على الله أو متوهماً فيما يقول حاشاه -صلوات الله وسلامه عليه-، قال: **وأعاد في القرآن وأبدى في هذا النوع** يعني الدعوة إلى الإيمان به مع وصفه بأنه نبي أُمي لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك أتى بهذا الكتاب المشتمل على الأخبار والآيات والحجج الدالة على صدقه -صلوات الله وسلامه عليه-، وكثير من خصومه أقروا بصدقه من خلال سماعهم للقرآن الكريم، وسماعهم لآيات القرآن الكريم ومنهم من أقر بصدق الكتاب ولم

يؤمن وأنه منزل من رب العالمين، ومنهم من أقر بصدق الكتاب وآمن بنبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- وشرح الله تعالى صدره للدخول في هذا الدين.

ثم ذكر طريقة أخرى من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - قال: **وقرر ذلك بأنه يخبر بقصص الأنبياء السابقين مطولة: أي ييسط القصة بسطاً وافياً ويذكر تفاصيل القصة بشكل دقيق وواف، قال: مطولة على الوجه الواقع الذي لا يستريب فيه أحد: يعني لا يشك أحد بصدق ذلك الوصف، ثم يخبر تعالى أنه : أي النبي -عليه الصلاة والسلام- ليس له طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي كمثل قوله تعالى لما ذكر قصة موسى مطولة ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٤٦] وقال: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] وكما في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] و لما ذكر قصة يوسف وإخوته مطولة قال: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠] ما كنت لديهم ومع ذلك قص -عليه الصلاة والسلام- أخبارهم مبسوطه مطولة بشكل واف، فهذه آية من آيات نبوته ودليل ظاهر على صدقه -صلوات الله وسلامه عليه -.**

نقرأ هنا تقريراً للحافظ ابن كثير لهذه الطريقة من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام-

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: يقول تعالى منبهاً على برهان نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن سامعه شاهد وراءٍ لما تقدم وهو رجل أُمي لا يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: أي وما كنت حاضر لذلك ولكن الله أوحاه إليك وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] وقال في آخر السورة: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠] وقال بعد ذكر قصة يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]

وقال في سورة طه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مِمَّا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩] وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولاً إلى آخرها وكيف كان ابتداء إحياء الله إليه وتكليمه له:

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله - سبحانه وتعالى - أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهان على قرون قد تطاول عهدا ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٤٥] أيوما كنت مقيما في أهل مدين تتلو عليهم آيتنا حين أخبرت عن نبيا شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه:

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا.

فإذن هذه طريقة من طرق القرآن الكريم في تقرير النبوة (نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام-)، وذلك من خلال القصص والإخبارات التي جاءت عنه -عليه الصلاة والسلام- وعن الأنبياء قبله، وعن الأمم الذين قبله، وساق القصص بتفصيل دقيق، مع أنه لم يكن لديهم ولم يكن حاضرا ولم يكن شاهدا ومع ذلك وصف قصصهم وأخبارهم بشكل وافٍ ودقيق، فهذا من شواهد نبوته، ولهذا ختم الشيخ -رحمه الله تعالى- هذا السياق بقوله: فهذه الأمور والإخبارات المفصلة التي يفصلها تفصيلاً لم يتمكن أهل الكتاب الذين في وقته ولا من بعدهم على تكذيبه فيها ولا معارضته (من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقاً).

قال -رحمه الله-: وتارة يقرر نبوته بكمال حكمة الله وتمام قدرته، وأن تأييده لرسوله ونصره على أعدائه وتمكينه في الأرض موافق غاية الموافقة في حكمة الله، وأن من قدح في رسالته فقد قدح في حكمة الله وفي قدرته.

هذه طريقة من طرق القرآن في تقرير نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام-: ألا وهي تقرير النبوة بكمال حكمة الله تعالى وتمام قدرته، وأن تأييده -سبحانه وتعالى- لهذا النبي دليل واضح وشاهد بيّن على صدق الرسول -عليه الصلاة

والسلام- لماذا؟ لأنه- صلى الله عليه وسلم- فاجأ الناس وكان معروفا من أول حياته بالصدق والأمانة ولا يعرف فيه كذب ولا خيانة، فاجأ الناس وقال: أنا رسول من رب العالمين وقال: إن الله أوحى إلي وأنزل إلي كتابا، وأخذ يتلو عليهم من كلام الله وكل ما يدعو إليه يقول هذا أمرني الله- سبحانه وتعالى- به، ولا يزال مؤيدا منصورا، ولا يزال من يعاديه في سفول وخذلان وهو- عليه الصلاة والسلام- في علو وارتفاع، فيمكن أن تقرر نبوته -عليه الصلاة والسلام- من هذا الطريق يقال إن الله- سبحانه وتعالى- حكيم عليم وقوي ومتين وقدير على النبي -صلى الله عليه وسلم- فلو لم يكن مرسلًا من عند الله ويأتي بهذا الكتاب ويدعي أنه من عند الله عاقبه الله ولم يمكن لدينه هذا التمكين ولم يكتب له هذا الظهور وهذا الانتشار ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ فالله- سبحانه وتعالى- قدير عليه ولهذا يمكن أن يستدل لصدق نبوته -عليه الصلاة والسلام- من هذا الطريق وهو كمال حكمة الله وكمال قدرته فيقال إن الله سبحانه وتعالى قوي قدير، وهذا النبي منذ ظهر ولا يزال دينه في علو ولا يزال في رفعة ولا يزال مؤيدا منصورا، محفوظا، في عزة وتمكين وظهور ولا يزال أعداؤه في خذلان وسفور، فلو كان في دعواه النبوة ودعواه الوحي ليس بصادق لما كتب الله -سبحانه وتعالى- له هذا التمكين ولختم على قلبه كما في الآية التي مرت ﴿فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وأيضا الآية الأخرى قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ فالله قادر عليه والله -سبحانه وتعالى- قوي عزيز متين، فهذه طريقة من طرق القرآن في تقرير النبوة وهي طريقة قوية ولاسيما مع من ينكرون النبوة من أهل الكتاب وهي طريقة نافعة جدا في إبطال ما هم عليه. يوضح ذلك المناظرة العظيمة التي دارت بين ابن القيم -رحمه الله تعالى- وبين أحد علماء أهل الكتاب وذكرها -رحمه الله تعالى- في كتابه "الصواعق المرسله"، يقول -رحمه الله تعالى- ما ملخصه، أنه جمعه أحد المجالس ببعض علماء أهل الكتاب يقول: فقلت له: إنكم سببتم الله مسبة ما سبه بها أحد من العالمين، قال ذلك الرجل: حاشا الله أن نكون سببنا الله مسبة ما سبه بها أحد من العالمين، حاشا أن نكون كذلك، قال: بل أنتم كذلك لأنكم تقولون أن محمد- صلى الله عليه وسلم- نبي كاذب وأنه ليس مرسل من رب العالمين وأن ما يدعو إليه وما يخبر عنه من الوحي هذا أمر ليس بصادق فيه ثم نرى أن دينه منذ بدأ في دعوته لم يزل في ظهور وعلو وارتفاع، وأعداؤه لم يزالوا في سفور وخيبة وخسران ولم يزل مؤيدا منصورا معززا محفوظا، وعدوه لم يزل مخذولا، فإما أن يكون الله رائيا له مطلععا عليه عالما به، أو ليس رائيا له ولا مطلععا عليه ولا عالما به فإن قلتم إن الله ليس رائيا له ولا مطلععا عليه ولا عالما به فهذه مسبة منكم لرب العالمين ما سبه بها أحد من العالمين، وإن قلتم لا بل هو راءٍ له

ومطلع عليه وعالم به فإما أن يكون قادر على أخذه ومنعه وحجزه، أو ليس قادرا على ذلك، فإن قلتُم ليس قادرا على ذلك فقد سببتم الله مسبة ما سبه بها أحد من العالمين، وإن قلتُم لا بل هو عالم به وقادر عليه ثم مع ذلك تركه وجعل دينه لا يزل ظاهرا عاليا مؤيدا فهذا يتنافى مع حكمة الله فتكونون بذلك طعنتم في حكمة الله وسببتم الله مسبة ما سبه بها أحد من العالمين، فقال ذلك الرجل: حاشا أن نقول ذلك بل إن عقلاءنا يقولون إنه نبي صادق لما ألزمه رحمه الله هذا الإلزام وقر هذه الطريقة قال: بل عقلاءنا يقولون إنه نبي صادق وأن أتباعه سعداء، قال: فما دتم تقولون أنه نبي صادق وأتباعه سعداء فلماذا لا تظفر بهذه السعادة؟ فقال: وكذلك أتباع موسى سعداء وكذلك أتباع عيسى سعداء، قال إذا كنتم أقرتم أنه نبي صادق فإنه حكم على كل من لم يتبعه أيا كان دينه وعقيدته بأنه كافر. ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان حقا على الله أن يدخله النار))، فإما أن يكون صادقا في ذلك فيلزمك أن تتبعه لتكون من أهل السعادة، أو لا يكون صادقا في ذلك فلا يكون نبيا. قال الرجل: حدثنا في غير هذا، يعني أعطنا موضوع آخر نتحدث فيه لأنه أغلق عليه-رحمه الله تعالى-الأبواب ولكن أبت نفسه أن تقبل الحق والهدى عنادا مع أنه اتضح له الحق وبانت له حججه وبراهينه ولكن عنادا أبت أن يقبل الحق وقال حدثنا في غير هذا أي ابحث لنا عن موضوع آخر نتحدث فيه غير هذا الموضوع، الشاهد أن هذه طريقة قوية في تقرير النبوة.

قال: وكذلك نصره وتأييده الباهر على الأمم الذين هم أقوى أهل الأرض من آيات رسالته وأدلة توحيده كما هو ظاهر للمتأملين.

هذه كذلك من طرائق القرآن في تقرير نبوته أن الله -عز وجل- أيده بنصره وكتب له الظفر والنصر والتأييد ولم يزل -عليه الصلاة والسلام- محفوظاً بحفظ الله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]

في الآية قال ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ فالله -عز وجل- عصمه وأيده وحفظه

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١]، فكان من دلائل وبراهين نبوته-عليه الصلاة والسلام-نصر الله له وتأييده له وحفظه -سبحانه وتعالى- له ولأتباعه.

وتارة يقرر نبوته ورسالته بما حازه من أوصاف الكمال وما هو عليه من الأخلاق الجميلة وأن كل خلق عال سام فـرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أعلاه وأكمـله فمن عظمت صفاته وفاقت نعوته جميع الخلق التي أعلاها الصدق أليس هذا أكبر الأدلة على أنه رسول رب العالمين والمصطفى المختار من الخلق أجمعين.

وهذه طريقة من طرائق القرآن في تقرير نبوته -عليه الصلاة والسلام- ذكر كمال أوصافه وأخلاقه وآدابه كما قال الرب -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فكان -عليه الصلاة والسلام- أكمل الناس خلقا وأطيبهم معاملة وأحسنهم نفسًا -صلوات الله وسلامه- عليه فهذه من الطرائق التي قرر فيها القرآن نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- وهي مؤثرة تأثيرا عظيما فيمن كتب الله -سبحانه وتعالى- له الهداية.

ولهذا يذكر في كتب السير والأخبار أن الرجل يأتي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وليس على وجه الأرض أبغض إليه منه فما أن يراه ويرى أخلاقه وآدابه وجميل صفاته -عليه الصلاة والسلام- إلا ويتحول من ساعته وليس على وجه الأرض أحب إليه منه وهذا هو قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقد كسب -عليه الصلاة والسلام- الناس وسعهم بأخلاقه الفاضلة وآدابه الكاملة ومعاملاته الحسنة وكم من أناس وأناس دخلوا في دين الله -سبحانه وتعالى- لما رأوه وشاهدوه ولما سمعوه من أخلاقه -صلوات الله وسلامه عليه- لم يكن فظا ولا غليظا ولم يكن متكبرا بل كان سهلا سمحا متواضعا لينا كريم الصفات جميل الأخلاق حتى في مواقف ربما بعض الناس يصاب فيها بشيء من الغرور أو شيء من الزهو والعلو فكان -عليه الصلاة والسلام- في كل أحواله ينكسر ويتواضع لله -سبحانه وتعالى- ومن عجيب القصص في ذلك لما دخل -عليه الصلاة والسلام- مكة فاتحا، ومكة هي البلد الذي أودى فيه وظلم فيه وأسيء إليه وأخرج منه وحصل له فيه أذى عظيم وكيد كبير، لما دخل مكة فاتحا طأطأ رأسه -عليه الصلاة والسلام- حتى يكاد يلمس الركاب تواضعا لله وانكسارا، ثم كان يقابل الناس الذين عادوه وظلموه وأسءوا إليه بالتواضع وبالرحم وبالصفح وبالأخلاق الفاضلة.

ذهب أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وأحضر والده في ذلك اليوم وكان لم يسلم بعد فجاء به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وكان شعره أبيض، حاجباه وشعر رأسه ولحيته كأنه ثغامة من شدة البياض، رجل كبير في السن فجاء به أبو بكر -رضي الله عنه- ممسكا بيده إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال -عليه الصلاة والسلام-:

لماذا جعلت هذا الشيخ يأتينا؟ ألا أخبرتني أنا الذي آتية، يقول ذلك -عليه الصلاة والسلام- وهو دخل فاتحا معززا منصورا في بلد ظلم فيه وأسيء إليه فيه وكثر عليه العدوان فيه والظلم ويتواضع مع الناس بهذه الطريقة يقول: لماذا جعلت هذا الشيخ يأتينا؟ ألا أخبرتني أنا الذي آتية، وتجد الآن بعض الشباب لا يحسن أن يتعامل هذه المعاملة الرفيعة الطيبة مع كبار السن من العباد الصالحين أهل الفضل وأهل العبادة وأهل التقوى وأهل الصلاح وأهل الخير لا يحسن أن يتعامل معهم، تجده يتعامل مع كبار السن من أهل الصلاح بفضاظة وبغلظة وبسوء معاملة.

فالشاهد أنه -عليه الصلاة والسلام- كان من أرفق الناس ومن أحلم الناس ومن أكرم الناس ومن أطيب الناس خلقا -عليه الصلاة والسلام- فكانت أخلاقه الفاضلة وآدابه -عليه الصلاة والسلام- الكاملة من الأسباب العظيمة لدخول كثير من الناس لهذا الدين العظيم قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ إذن من طرائق القرآن في تقرير نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر ما كان عليه من الأدب الفاضل والخلق العظيم.

وتارة يقررها بما هو موجود في كتب الأولين وبشارات الأنبياء والمرسلين

إما باسمه العَلم

أو بأوصافه الجلييلة وأوصاف أمته وأوصاف دينه.

وهذه أيضا من طريقة القرآن في تقرير نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- الإخبار بما جاء في الكتب السابقة من البشارات به سواء بذكر اسمه مثلما جاء في الإنجيل ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] إما بذكر اسمه أو بذكر أوصافه -عليه الصلاة والسلام-: وهذا يأتي في القرآن كثيرا ذكر ما جاء في الكتب السابقة من أوصاف النبي -عليه الصلاة والسلام- وكذلك أوصاف أمته وأوصاف صحابته الكرام -رضي الله عنهم وأرضاهم- ومن ذلكم في الآية الأخيرة من سورة الفتح قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ

أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ
يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]

فذكر الله -عز وجل- وصفه وذكر وصف أمته وأوصاف صحابته الكرام وذكر ما كانوا عليه من الأخلاق الكاملة والعبادات الفاضلة كل ذلك جاء في كتاب الله -عز وجل- وأيضا ما بقي من الكتب السابقة من مواضع سالمة من التحريف وجد فيها شيء من ذلك من الإخبار عن النبي -عليه الصلاة والسلام- وعن أوصافه وكان ذلك سببا لهداية بعض النصارى وبعض اليهود وغيرهم من أهل الكتاب.

وتارة يقرر رسالته بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلية التي وقعت في زمانه والتي لا تزال تقع في كل وقت، فلولا الوحي ما وصل إليه شيء من هذا، ولا له ولا لغيره طريق إلى العلم به.

هذه أيضا من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام-: ذكر إخباره -عليه الصلاة والسلام- بالغيوب الماضية والغيوب المستقبلية مما أطلعه الله -سبحانه وتعالى- عليه، قال -عز وجل-: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧، ٢٦] فكان -جل وعلا- يطلع نبيه -عليه الصلاة والسلام- على بعض المغيبات من الأمور السابقة ومن الأمور اللاحقة وكان -عليه الصلاة والسلام- يخبر بالأشياء أنها ستقع ومنها أشياء وقعت في زمانه ومنها أشياء أخبر بها ووقعت بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- في زمن صحابته ومنها أشياء وقعت فيما بعد وأشياء لم تقع وستقع لأن الذي أخبر بها صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى -صلوات الله وسلامه عليه-، والشواهد على ذلك والأمثلة عليه في القرآن الكريم كثير مثل قوله -سبحانه وتعالى- في أول سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢، ٣] هذا إخبار عن أمر سيأتي ووقع ما أخبر -عليه الصلاة والسلام- كما أخبر، ومر معنا في كتاب "الأدب المفرد" في بشارة النبي -عليه الصلاة والسلام- لأبي بكر وعمر وعثمان بالجنة، وفي عثمان قال على بلوى تصيبه، هذا شيء أخبر به -عليه الصلاة والسلام- وحصلت البلوى كما أخبر -عليه الصلاة والسلام- أخبر بأشياء كثيرة، وأخبر بأمور هي من علامات الساعة الصغرى ووقعت

كما أخبر ومنها شيء لم يقع ولكنه سيقع طبقا لما أخبر -عليه الصلاة والسلام- فهو صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وتارة يقررها بحفظه إياه وعصمته له من الخلق مع تكالب الأعداء وضغطهم وجدهم التام للإيقاع به بكل ما في وسعهم والله يعصمه ويمنعه وينصره وما ذاك إلا لأنه رسوله حقا وأمينه على وحيه.

وهذا أيضا من الشواهد أن أعداءه وخصومه وهم كثر كان لهم محاولات كثيرة لقتله -عليه الصلاة والسلام- والقضاء عليه، وخططوا لذلك جماعات وفرادى، ودبروا أشياء وأشياء للقضاء عليه ولقتله ولم يزل -عليه الصلاة والسلام- معصوما منهم محفوظا بحفظ الله مؤيدا بتأييده، وكل محاولة دبروها باءت بالفشل والخيبة، ومن يقرأ سيرته -عليه الصلاة والسلام- من بداية الدعوة حينما كان في مكة، ومرورا بسيرته العطرة حصل مرات عديدة محاولات لقتله، وضعوا له السم في طعامه -عليه الصلاة والسلام- وخططوا أيضا لقتله والإجهاز عليه مرات كثيرة والسيرة فيها من هذا القصص شيء كثير ومن ذلكم ما جاء في الصحيح: عندما كان -عليه الصلاة والسلام- مرة قفل مع أصحابه بعد غزوة ثم ناموا وتتبعوا ظل الشجر كلُّ نام فجاء رجل ووجدهم كلهم نيام وجاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وأخذ سيف النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم كانوا راجعين من غزوة وكل معه سيفه، فكان -عليه الصلاة والسلام- نائم وسيفه إلى جنبه، فأخذ سيف النبي وأخرجه من غمضه وسله، رفع السيف ما بقي إلا أن يهوي به وجاء يريد قتل النبي -عليه الصلاة والسلام- والصحابة كلهم نيام والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان نائما، ففتح -عليه الصلاة والسلام- عيناه وإذا بالسيف مسلول والرجل قائم فقال الرجل: ((من يحميك مني)) والسيف مسلول والصحابة كلهم نيام، قال: ((قلت: الله))، فأصبحت يد الرجل لا تستطيع تمسك يعني تعطل فيها قوتها وقدرتها على القبض، سقط السيف من يده فهذه حماية الله -عز وجل- لنبيه -عليه الصلاة والسلام- فقام -عليه الصلاة والسلام- وأخذ السيف وسله قال: ((من يحميك مني)) فأخذ يتوسل قال: أنت كريم ابن كريم يتوسل إليه، يطلب منه أن يتركه ويخلي سبيله، وخلي -صلى الله عليه وسلم- سبيله. قصص من هذا كثير يقرأها من يطالع سيرته -عليه الصلاة والسلام- محاولات كثيرة لقتله والقضاء عليه ولكنه لم يزل مؤيدا منصورا فهذا من الدلائل والشواهد على صدق نبوته -عليه الصلاة والسلام-.

وتارة يقرر رسالته بذكر عظمة ما جاء به وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وتحدى أعداءه ومن كفر به أن يأتيوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فعجزوا ونكصوا وباؤوا بالخيبة والفشل، وهذا القرآن أكبر أدلة رسالته وأجلها وأعمها.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- هذا الطريق من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- ألا وهو: تقرير نبوته من خلال هذا القرآن العظيم الذي بعث به -صلى الله عليه وسلم- وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو كما قال الشيخ -رحمه الله تعالى- أكبر أدلة رسالته وأجلها وأعمها وهي آية باقية وحجة خالدة ظاهرة، أنزل الله -عز وجل- هذا الكتاب العظيم وفيه آية لصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ومن طريقة القرآن في تقرير نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- بهذا القرآن أن تحدى فصحاء العرب وأهل اللسان والبيان أن يأتيوا بسورة، تحداهم أن يأتيوا بمثل هذا القرآن، وتحداهم أن يأتيوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتيوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن العظيم، في سورة واحدة قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]: لو اجتمعت الإنس والجن ودبروا ورتبوا وتعاونوا على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله هذا تحدي من الله -سبحانه وتعالى- أن يوتي بمثل هذا القرآن ولو اجتمعت الإنس والجن على ذلك، وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣] وهذا تحد دون الأول، الأول بمثل القرآن كاملا وهنا بعشر سور مثله مفتریات، وفي سورة واحدة قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] تحداهم أن يأتيوا بسورة واحدة من مثل القرآن، ولهذا بعض أذعياء النبوة حاولوا أن يأتيوا ويركبوا كلاما يزعمون أو يموهون على الناس أنه مثل القرآن، ولما قرؤوا على الناس هذا الكلام ضحك منهم العقلاء والمجانين وأصبحوا سخرية للناس، وأصبح من أراد أن يتندر يتندر بما جاءوا به أولئك السفهاء الحمقى من أشياء يدعون أنها وحي مثل مسيلمة الكذاب لما قالوا له إن النبي -عليه الصلاة والسلام- جاء بوحي وجاء بآيات وجاء بقرآن يتلى، أين الوحي الذي أنزل إليك فبدأ يركب كلاما من أسفه الكلام، تركيبا من أرك التراكيب وعبارات من أوهى العبارات في كلام فيه سفه وفيه حماقة وإدعاء أنه

أوحى إليه بذلك الكلام، فالشاهد أن من براهين ودلائل نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا القرآن، وقد تحدى الله -سبحانه وتعالى- فصحاء العرب وأهل اللسان أن يأتوا بمثله أو يأتوا بعشر سور أو يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن وهم أعجز وأعجز من ذلك، وهذا من أبين الأدلة وأوضح البراهين على صدق نبوة النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

وتارة يقرر رسالته بما أظهر على يديه من المعجزات وما أجرى له من الخوارق والكرامات الدالة كل واحد بمفرده منها فكيف إذا اجتمعت على أنه رسول الله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهذا باب واسع في الاستدلال لنبوته وصدق رسالته -عليه الصلاة والسلام- الآيات والمعجزات والبراهين التي أيده الله -سبحانه وتعالى- بها، وهذه باب واسع جمعها أهل العلم في كتب حافلة وبعضها مطبوع في مجلدات بعنوان "دلائل النبوة" مثل: "دلائل النبوة" لقوام السنة التيمي و"دلائل النبوة" لليهقي وكتب كثيرة ألفها أهل العلم في دلائل النبوة وجمعوا شيئاً كثيراً من الأخبار والأحاديث والآثار التي فيها معجزات أجراها الله -سبحانه وتعالى- وخوارق للعادات أجراها على يدي رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- مثل: سماع الصحابة -رضي الله عنهم- للحصا يسبح في يده، حصيات في يده -عليه الصلاة والسلام- يمسكها والصحابة يسمعون الحصيات تقول سبحان الله سبحان الله تنطق بألفاظ التسيب، ومثل -عليه الصلاة والسلام- لما كان في طريق وأراد قضاء حاجة فدعا شجرة فاجتمعت وانضم بعضها إلى بعض وأشياء كثيرة جاءت في كتب دلائل النبوة هي آيات ومعجزات، أيضاً خروج نبع الماء من بين أصابعه -عليه الصلاة والسلام-. الشاهد في السيرة وكتب الدلائل خاصة ذكر شيء كثير من ذلك من الآيات والمعجزات التي أجراها الله -سبحانه وتعالى- على يديه -صلوات الله وسلامه عليه- دالة على نبوته وشاهد على صدق رسالته.

ومما ينبه عليه أن الأمور الخارقة للعادة التي أجراها الله -سبحانه وتعالى- على يديه ليست وحدها هي دليل النبوة كما يدعي ذلك بعض المتكلمين، فإن بعض علماء الكلام يدعون أن آية النبوة للأمور الخارقة للعادة وهذا غير صحيح، فالأمور الخارقة للعادة شيء من الدلائل وليس هو كل الدلائل، ولهذا رأينا في طريقة القرآن في تقرير نبوة

النبي -عليه الصلاة والسلام- قررها من خلال أمور كثيرة هذه تعد واحدة منها، الأمور الخارقة للعادة التي أجزاها الله -سبحانه وتعالى- على يد نبيه -صلى الله عليه وسلم- هذه واحدة من دلائل النبوة، ولأجل هذا أنكر هؤلاء المتكلمون خوارق العادات وأنها تحصل لأحد من الناس أنكروها وادعوا أنها لا تقع لغير نبي وهذه مكابرة لأمر تواتر وعلم بالأدلة وعلم أيضا بكتب التاريخ والأخبار فالله -عز وجل- قد يجري بعض الأمور الخارقة للعادة على بعض الصالحين على بعض عباده إما لحجة أو لحاجة وكرامة الولي والرجل الصالح هي آية للنبي، فالشاهد أن حصول الأمر الخارق للعادة ليس هو وحده الدليل على صدق النبوة بل هو واحد من الأدلة خلافا لما يقرره علماء أهل الكلام الباطل.

وتارة يقررها بعظيم شفقتة على الخلق وحنوه الكامل على أمته وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأن لم يوجد ولن يوجد أحد من الخلق أعظم شفقة وبرا وإحسانا إلى الخلق منه وآثار ذلك ظاهرة للناظرين.

وهذه أيضا من طرائق القرآن في تقرير نبوته -عليه الصلاة والسلام- ذكر ما كان عليه من الرفق والشفقة والرحمة والرافة -عليه الصلاة والسلام- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال -جل وعلا- في آية أخرى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ومن معاني هذه الآية أنه أحرص على كل مؤمن من نفسه، يعني مهما كنت عليه من حرص على نفسك ورغبة في صلاحها وسعادتها النبي -صلى الله عليه وسلم- أحرص على نفسك منك ولهذا قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فهو أحرص على نفسك منك، ولهذا أوجب الله علينا أن نحبه محبة مقدمة على محبتنا لأنفسنا مثل ما جاء في صحيح البخاري عن عمر -رضي الله عنه- قال: ((قلت يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال، -عليه الصلاة والسلام-: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، قال عمر: والله لأنت الآن أحب إلي حتى من نفسي)) فهو -عليه الصلاة والسلام- أولى بكل إنسان من نفسه وأحرص على كل إنسان من نفسه ولهذا كان أيضا أحق بأن تكون محبته -عليه الصلاة والسلام- مقدمة على محبة النفس ومحبة الوالد والولد والناس أجمعين، وهذه المحبة ليس أمرا يدعيه الإنسان؛ لأن مجرد الدعوة وقول القائل إني

أحب الرسول -عليه الصلاة والسلام- هذه سهلة على كل لسان وليست العبرة بهذا ولكن العبرة بما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

فالشاهد من طرائق القرآن في تقرير النبوة نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر رحمته ورفقه وتواضعه وحنوه وعطفه وحرصه على الناس ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذه كلها من الشواهد والدلائل على صدق نبوة نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

قال فهذه الأمور والطرق قد أكثر الله من ذكرها في كتابه وقررها بعبارات متنوعة ومعاني مفصلة وأساليب عجيبة وأمثلتها تفوق العد والإحصاء والله أعلم.

ثم ختم -رحمه الله تعالى- هذه القاعدة بأنه أشار هنا إلى طرائق القرآن بذكر أنواع من طرائق القرآن في تقرير نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- وذكر على ذلك بعض الأمثلة ثم أشار هنا أن أمثلتها تفوق العد والإحصاء كثيرة جدا.

وهنا أيضا أؤكد على ما أكدت عليه في درس الأمس ألا وهو أننا نقرأ هذه القاعدة أكثر من مرة ونستوعب هذه الأنواع للأدلة ثم نحرص أثناء قراءتنا لكتاب الله -سبحانه وتعالى- أن ننظر وأن نتفكر وأن نتدبر من خلال الآيات التي نقرأها في القرآن الكريم في تقرير النبوة وتثبيت الرسالة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- من خلال هذه الطرائق التي جمعها الشيخ هنا -رحمه الله- على شكل أنواع أدلة وهي مبسطة في كتاب الله، أفراد هذه الأدلة وآحادها. والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على رسول الله.